سينما الأطفال والتربية المتكاملة

د. سمر سامح محمد محمد علي
مدرس المناهج وطرق التدريس
كلية التربية ـ جامعة حلوان

اهتم علماء التربية قديمًا وحديثًا بوضع الصورة المثالية للفرد من خلال تربيته تربية سليمة، متكاملة، متوازنة ضمن منظومة من القيم الأخلاقية والجمالية والاجتماعية والدينية، تتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه، وتعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة؛ لذا فلا عجب أن نرى المجتمعات المتطورة توجه اهتمامها إلى العناية بتلك المرحلة، وبجميع أمورها في شتى النواحي الجسمية والعقلية والانفعالية والأخلاقية واللغوية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها؛ حتى أصبحت قضية الطفولة من القضايا المهمة التي من أجلها تعقد المؤتمرات، وتُجرى البحوث والدراسات، وتُقدم البرامج متمثلة في: إعلام وتربية وتعليم وصحة وفنون، وتقديم كل ما يمكن أن يسهم في الرقي بالأطفال.

ويعتمد الطفل على حواسه في تنمية قدراته وتطوير مهاراته، وتعد حاستا: السمع، والبصر من أكثر الحواس التي يعتمد الطفل عليهما في مراحل عمره الأولى، وتعد السينما من الوسائل التي تعتمد على هاتين الحاستين من خلال ما تقدمه للطفل من صوت وصورة، وهي بشتى أنواعها لها دورها الفعّال في تنمية شخصيته في جميع الجوانب بطريقة متكاملة ومتوازنة.

سينما الأطفال:

تعد السينما أداة تواصل اجتماعي وثقافي بين المجتمعات والدول على مدى التاريخ، وهى إحدى أهم الوسائل الإعلامية؛ لعرض فكرة معينة بطريقة إبداعية؛ وإحدى الوسائل المهمة لتربية الطفل بطريقة متكاملة ومتوازنة، وبناء ثقافته، وتنمية الخيال والإبداع والأفكار لديه.

والسينما إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية التي تقوم على أساس عرض شريط من الصور السمعية البصرية التي تحاكي الواقع، وتستخدمه لأغراض علمية وتثقيفية وترفيهية، وتعد فنًا وعلمًا وصناعةً في آن واحد (Danesi,٢٠٠٩:p٦١)، وتُعرف فنيًا بأنها وسيلة من وسائل التعبير الفني، وتقوم على تسجيل الصور المتحركة على شريط، ثم تُرتَّب وتُنسَّق وتُجمَع بواسطة المونتاج؛ لتكون عملًا فنيًا يُعرض من خلال أجهزة خاصة. (Dukhanin, ٢٠٠٥:p ١٩٠).

يتضح من التعريفين السابقين أن سينما الأطفال وسيلة فعالة ومتطورة في نقل أدب الأطفال؛ لما تمتاز به عن غيرها من الوسائط كالمسرح، ويتضح أيضًا أن الفيلم السينمائي المُعد للطفل هو الذي تم تصويره وإنتاجه بطريقة سينمائية، ولا بد من عرضه على شاشة سينما في قاعة سينمائية لها مواصفات محددة من ناحية المكان، وطبيعة العرض، ونوعية المشاهدين، وطبيعة المشاهدة ذاتها. (عبد المقصود، ١٩٩٨، ص ٢٥)

وسينما الأطفال عمل سينمائي له رؤية تربوية، يعمل على بناء أجيال المستقبل، وتزويدهم بالمعارف، وتصحيح أفكارهم وسلوكياتهم من خلال المشاهدة المباشرة لأفلام صُممت خصيصًا لخدمة هذه الأغراض، مُعدة للعرض في دار عرض سينمائي، أو داخل قاعة عرض في أحد المراكز الثقافية أو المكتبات العامة أو قصور الثقافة. (أحمد، ٢٠١٩، ص ٤٤ ،٤٥)

التربية المتكاملة

تسعى التربية المتكاملة إلى تنمية جميع جوانب شخصية الطفل: الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والأخلاقية، واللغوية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، والجمالية، وغيرها، وتؤكد اهتمامها بتلك التنمية المتكاملة.

السينما والتربية المتكاملة للطفل

تؤثر السينما على جميع جوانب شخصية الطفل المتمثلة في: الجانب الجسمي، والعقلي، والانفعالي، والأخلاقي، واللغوي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والجمالي تأثيرًا كبيرًا، وتؤثر أيضًاعلى مهارات تفكيره، وتسهم في تنمية مهاراته اللغوية، والحفاظ على هويته الثقافية، وقد يكون الطفل مشاركًا في ذلك العمل السينمائي؛ فيكون تأثير ذلك العمل عليه أكثر من الأطفال المشاهدين له، وفيما يلي تفصيل ذلك:

الجانب العقلي

أكدت نتائج البحوث والدراسات النفسية والتربوية، وعلى رأسهم بحوث "جان بياجيه"، من خلال نظريته المتعلِّقة بالنمو المعرفي للطفل - أهمية المرحلة الحسية، ودورها في النمو المعرفي له؛ وعليه فإن الأفلام السينمائية تساعد على تنمية الجانب المعرفي، وتطوير الوظائف العقلية العليا؛ فالحركات والألوان والأصوات الصادرة من تلك الأفلام؛ تجعل الطفل شديد الانتباه والتركيز لكل لقطة أو حركة أو فعل؛ وبخاصةً التي يلجأ فيها البطل إلى اختراع حلول وحيل ذكية؛ للحصول على شيء أو التخلص من مشكلة أو تفادي خطر سواء من خلال وسائل أو من خلال التمويه أو معلومات تضليلية. ونجد الطفل في ذلك يرى ويسمع، ثم يثبت المعلومات في ذهنه؛ لاسترجاعها عند الحاجة، أوعندما يكون في موقفٍ مُشَابه، ثم يلجأ مع مرور الوقت وتطور قدراته الذهنية إلى ابتكار أساليب ذكية في حياته اليومية.

كما تنمي بعض الأفلام السينمائية الخيال لدى الأطفال؛ وبخاصة الأفلام الروائية والمغامرات وعالم الخيال؛ حيث إنها تضع الطفل في مواقف حقيقية لتوظيف إمكاناته الذهنية وقدراته التصورية من خلال قراءاته الذاتية وتوقعاته الشخصية لما يقوله أو يفعله، الممثل في سياق مجريات الفيلم. كما تسهم الأفلام السينمائية في تنمية الذاكرة من خلال مناقشة المربين الأطفال في بعض الأحداث والوقائع التي حدثت في الفيلم، ولهذا كان من الضروري اهتمام المربين بما يشاهده أبناؤهم، ومرافقتهم لاستخلاص العبر الجميلة والمفيدة في تربية الطفل. كما يُنصح المربون بتقديم أفلام سينمائية في المؤسسات التعليمية في إطار البرامج الثقافية والترفيهية؛ لتطوير القدرات والمهارات.

الجانب الانفعالي

إن الأفلام من الوسائل الفعَّالة في التأثير على انفعالات الطفل وعواطفه من خلال طبيعة المواقف ونوعية الأدوار التي يقوم بها الممثل في الفيلم؛ فإذا كان المشهد يتسم بطابع الحزن فإن الطفل يتفاعل معه فقد نجده يحزن وربما يبكي، وإذا كان طابعه فكاهي نجده في قمة السعادة والفرح غارقًا في الضحك. كما يمكن لبعض الأفلام السينمائية أن تزرع الثقة بالنفس وروح المبادرة لدى الطفل؛ وبخاصة إذا كان الطفل هو الممثل والبطل في الفيلم أو باعتبار أن الطفل يميل إلى تقليد الممثل وإلى الاقتداء به؛ بل ويرغب في تقليده، وعادةً ما

تكون أفلام المغامرة والإقدام، وتخطي الصعوبات والعوائق للتوصل إلى تحقيق الهدف والنهاية السعيدة هي التي تجذب انتباه الطفل أكثر.

وللأفلام السينمائية قدرة كبيرة على تنمية التركيز لدى الطفل؛ وخاصةً الأفلام الروائية؛ حيث إنها تجعله يعيش مع الأحداث، ويتفاعل معها، ويتابع كل التفاصيل والوقائع خطوة بخطوة، وذلك يعوده على التركيز والاهتمام وحب الاستطلاع. وتسهم أفلام التسلية والترفيه في علاج أو التقليل من الاضطرابات النفسية الناتجة عن القلق والروتين؛ فتعمل على إعادة التوازن والاستقرار النفسي.

الجانب الأخلاقي

إن الأفلام السينمائية ذات تأثير فعَّال على سلوكيات الأطفال؛ فتغرس فيهم العديد من القيم الإنسانية النبيلة، والمبادئ السامية، والأخلاق الحميدة التي تساعدهم على أن يكونوا أفرادًا صالحين في المجتمع، ويمكن للفيلم أن يغرس روح التعاون في نفوس الأطفال، من خلال إبراز أهمية التعاون بين الناس لتحقيق هدف، أو التوصل إلى غاية تفيد الجماعة، أو تدفع خطرًا عنها، أو تسهم في تحسين ظروف الحياة لديها؛ فالعديد من الأفلام تتناول موضوع التعاون، وتُبرز نتائجه المفيدة؛ كأن تتعاون مجموعة لصد اعتداء وإبعاد الخطر عنها، أو تتعاون فيما بينها لإنقاذ مخلوق ما من خطر، وتنجيه من الهلاك المحتوم، أو إبراز أهمية التعاون في الحفاظ على نظافة البيئة.

ويسهم الفيلم السينمائي في تربية الطفل على التسامح، ونبذ العنف والكراهية والتمييز، من خلال الموضوعات التي تتناول هذه المَزيّة الحميدة، والمهمة في بناء مجتمع يسوده الأمن والسلام والاستقرار، مثل: إبراز الفائدة النفسية التي تعود على الإنسان المتسامح المحب للخير، والمتعاطف مع الآخرين.

إن للفيلم السينمائي تأثيرًا كبيرًا، وفعالية إيجابية في تربية الطفل على التفكير المنطقي، والحوار البنَّاء، والحكم العادل على الأشياء، من خلال ما يشاهده من الأفلام التي تتناول الموضوعات التربوية الهادفة؛ فالعديد من المواقف التي يشاهدها الطفل يكون تأثيرها كبيرًا على نفسيته، وبخاصةً ذات النهاية السعيدة التي تعود بالنفع على الجميع عند اتباعها أسلوب الحوار الهادئ، والأخذ برأي الآخرين، وترجيح طريقة العقل، والحكم العادل على الأشياء. إنها تُعَوِّده اتباع هذه التصرفات في معاملاته اليومية مع الآخرين، وبخاصةً إذا كانت البيئة التي يعيش فيها تساعده على ذلك، وفي مقدمتها الأسرة.

الجانب اللغوي

إن الفيلم السينمائي يعتمد مباشرةً على حاسة البصر؛ وذلك يجعله يعمل على تنمية وظيفة الذاكرة البصرية عند الطفل، وبخاصةً في سنواته الأولى من العمر التي تعمل بدورها على تخزين واسترجاع المفردات والجمل المستخدمة من قِبَلِ الممثلين؛ إذ تسمح له بربط اللفظ بالمعنى؛ فالممثل عندما يُعَبِّر شفهيًا عن شيء ما أمام الطفل سواء أكان اسمًا أم فعلًا؛ فإن الطفل يبدأ في التعرُّف، وفهم معاني الكلمات أو الجمل المنطوقة من خلال ربطها المشاهد التي يقوم بها الممثلين؛ فهو يربط بين الكلمة أو الجملة المسموعة وبين ما يشاهده من فعل، ويثبتها ويستخدمها عند الحاجة.

وللفيلم السينمائي تأثير كبير على تنمية وتطوير وظيفة الذاكرة السمعية التي لها دور كبير في اكتساب الطفل للغة، ويُعَدُّ السمع أول حاسة تنمو لديه حسب ما أثبتته نتائج البحوث، فهو بإمكانه أن يميز صوت أمه قبل مولده. إن الطفل عندما يسمع كلمات أو جملًا من قِبَلِ الممثلين، ويشاهد تطبيقاتها في الواقع؛ فإنه يثبتها دالًا ومدلولًا في ذاكرته السمعية؛ ويسترجعها عند الحاجة؛ ليستخدمها في التواصل مع بالآخرين؛ فتنمو ثروته اللغوية مع مرور الوقت.

كما يمكن للأطفال الذين يستطيعون القراءة اكتساب لغات أجنبية أخرى عند مشاهدتهم الأفلام الناطقة بلغات أجنبية والمترجمة كتابيًا باللغة العربية أو الناطقة بالعربية والمترجمة كتابيًا بلغة أجنبية؛ فهي توضح للطفل المعنى الحقيقي للكلمة أو الجملة من خلال ما يقوم به الممثل فعليًا من أفعال وحركات؛ فيترسخ مفهومها، ويثبت معناها في ذاكرته لتشكل ثروةً لغوية إضافية.

الجانب الاجتماعي

تقوم الأفلام السينمائية بتزويد الطفل بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، وتعمل على توعيته بمشكلات ذلك المجتمع، وتكسبه خبرات تساعده على حلها، وتكسبه أيضًا مهارات اجتماعية متمثلة في السلوكيات التي تجعله يتعامل بفاعلية مع متطلبات الحياة اليومية ويواجه تحدياتها، وتمكنه من التفاعل مع الآخرين وتبادل الآراء معهم.

الجانب السياسي

تسهم الأفلام السينمائية في تنمية الثقافة السياسية، وتنمي قدرته على استيعاب الأوضاع السياسية في الدولة، وتُشكل الوعي السياسي لديه. والوعي السياسي هو الرؤية الشاملة بما يتضمنه من معارف واتجاهات سياسية تتيح للطفل إدراك أوضاع مجتمعه، وتحليلها، والحكم عليها، وتحديد موقفه منها، والتي تدفعه للتحرك من أجل تغييرها وتطويرها، والحفاظ عليها للإبقاء علي أحسن الأوضاع المتطورة. (عبد اللطيف، ٢٠١٩)

اختيار الفيلم السينمائي للطفل

لكى تسهم السينما في التربية الإيجابية للطفل يجب مشاركة الوالدين الطفل في اختيار الفيلم السينمائي المناسب له، وأن تتم مشاهدة الطفل للأفلام السنيمائية تحت إشرافهم؛ حتى يستفيد منها، وحتى يمكن للوالدين مناقشة أحداث تلك الأفلام لاحقًا مع أطفالهم؛ وحتى يكون الفيلم السينمائي مناسبًا للطفل ينبغى:

- أن يناسب الفيلم السينمائي العمر الزمني والعقلي للطفل.
- توجيه الطفل نحو الاهتمام بأفلام الخيال العلمي.
- أن يخلو الفيلم السينمائي من العنف.
- أن ينمي الفيلم السينمائي المهارات اللغوية لدى الطفل.
- أن يساعد الفيلم السينمائي الطفل في اكتشاف مواهبه وتنميتها.
- أن ينمي الفيلم السينمائي مهارات التفكير بأنواعه لدى الطفل.
- أن ينمي الفيلم السينمائي القيم والاتجاهات الإيجابية لديه.
- أن يسهم الفيلم السينمائي في الحفاظ على الهوية الثقافية للطفل، والمتمثلة فى: الدين، واللغة، والعادات والتقاليد.

يجب على الوالدين بعد مشاهدة الطفل الفيلم السينمائي مساعدة طفلهم على:

- إعادة تمثيل أحد المشاهد المؤثرة الموجودة بالفيلم السينمائي.
- تلخيص سيناريو الفيلم السينمائي تلخيصًا شفهيًا وكتابيًا.
- إبداء ملاحظاته العامة على الأحداث والشخصيات.
- التشجيع على مناقشة سيناريو الفيلم السينمائي.
- تحديد أكثر الشخصيات المؤثرة الموجودة بالفيلم السينمائي.

- تقليد إحدى الشخصيات الإيجابية الموجودة بالفيلم السينمائي للكشف عن المهارات الكامنة لديه.
- إبداء رأيه في نهاية أحداث الفيلم السينمائي، واقتراح نهاية لأحداثه إذا كانت نهايته مفتوحة.

المراجع:

المراجع العربية:

١. أحمد، رشا محمود سامي (فبراير ٢٠١٩): ديناميةالحراك السينمائي الموجه للطفل "بين تعقيدات الواقع وتحديات المستقبل"، مجلة الطفولة العربية، العدد (٧٩)، ٣٨-٧٥.

٢. بولفخاذ، نور الدين (٢٠٢٠). دور السينما في تنمية شخصية الطفل. مجلة خطوة. المجلس العربى للطفولة والتنمية. العدد (٣٩).

٣. عبد اللطيف، ندى عبد المعطي (أغسطس ٢٠١٩). توظيف السينما في المجال السياسي وأثره علي الوعي السياسي في المجتمع المصري في الفترة ٢٠١٢ إلي ٢٠١٨م. المركز الديمقراطي العربي
,Available at (٢٩/٨/٢٠٢١)https://democraticac.de/?p=٦١٩٤٠

٤. عبد المقصود، حمدي (١٩٩٨). واقع سينما الأطفال. ثقافة الطفل "سلسة بحوث ودراسات". العدد (٢٣)، ١٥- ٣٣.

المراجع الأجنبية:

١. Danesi, Marcel. (٢٠٠٩). Dictionary of media and communications. USA: Routledge.

٢. Dukhanin, V. (٢٠٠٥). Orthodoxy and the world of cinema. Moscow.